دار الوطن
١٨٣

عبرات مدخن

محمد بن سرار اليامي

خصم خاص للتوزيع الخيري

الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - ت/٤٧٩٢٠٤٢ - ف/٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

قد تذرف العين . . نعم . . تذرف العين على فراق حبيب، أو قريب، وهذا بحدِّ ذاته مؤلم . . ، ولكن الأشدَّ من ذلك . . هو بُكاء الإنسان على نفسه . .

لنفسي من نفسي عن الناس شاغلُ . . .

فيذوبُ القلبُ ألماً وكمداً، وتسيلُ المدامعُ حَرَّى . . ، وتتفطرُ القلوب من مرارة الألم . . نعم . . الألمُ على الواقع المر . . .

* **والسؤال الذي يطرحُ نفسهُ في هذا الموطن هو:** هل تستمرُّ هذه العبرات، وهذه الآهات، وهذه الحسرات، أم يسعى الإنسانُ في تغيير واقعه المر الذي يعيشُ فيه؟!

* **أقول:** والله لن يتغير الواقع المؤلم حتى يغير الإنسانُ ما في نفسه، قال جلَّ وعز: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

تأملت هذا السؤال.. فكانت هذه العبرات على الواقع المرير . . ، والله أسأل أن يعينني وإخواني على طاعته ومرضاته . . ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل . . وإلى العبرات . .

دمعة من عين والدي

أبي لا يُذقني الله فقدانَ مثله
وأينَ له مثلٌ وأينَ المقارب
تجاوزت القربى المودة بيننا
فأصبح أدنى ما يُعد المناسبُ
فيا ليتني حُمِّلتُ همي وهمهُ
وأن أبي ناء عن الهمِّ عازب

بينما كان الأبُ المتعبُ عائداً إلى منزله ذات مساء . . ، وقد خمدت فيه كل قوة . . إذا به يلمح في طريقه ولده . .

فلذة كبده.. يرتعُ، ويلعبُ مع شباب سيماهم الغفلة، قد دَلَّ مظهرهم على مخبرهم.

فتفجرت براكين الغضب في عروق الأب.. ولكنه أسرها في نفسه ولم يبدها له.. أركبهُ في سيارته..، وانطلق به إلى المنزل..، وفي الطريق.. إذا برائحة [الدخان] تنسَلُّ من بدن الابن.. لتَستقرَّ في أنف الأب.. كسهمٍ مسموم غُرسَ في قلب الوالد..، وخَيَّمَ الحياءُ، والصمت.. لم يتمالك الأب نفسه لفرط الحرقة والدهشة.. **أهذا فلان؟! أهذا ولدي؟! أهذا ولدي الذي كنت أفاخر به بين الناس؟!!**

وما هي إلا دمعة حَرَّى أجابت هذه التساؤلات.. فانقلب الأملُ إلى ألم..

وليس الذي يجري من العين ماؤها
ولكنها روحٌ تسيلُ فتقطرُ

ذابت الأحداقُ حرقةً علىٰ هذا الولد..، وفاضت العبرات..... لماذا؟! لأنهُ سلك سبيل معصية الله، لأنهُ وقع في أمرٍ منكرٍ فطرة، وأخلاقاً.. لأنهُ إذا استمر على هذا الأمر سوف يدمرُ نفسهُ، ومن حوله.. لأنهُ عصىٰ المعصوم عليه الصلاة والسلام عندما نهىٰ عن كل مسكرٍ، ومفتر، كما رواه أحمد في المسند؛ لأنهُ استجاب لما يخططهُ لهُ أعداء الإسلام من إيقاع الشباب المسلم في الملذات المحرمة الضارة ديناً، ودنيا..، وتحسين ذلك، وكما قال الأول:

ما يبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ
ما يبلغُ الجاهلُ من نفسهِ

وأصبحَ الأملُ ألماً.

عبرات مدخن

شفةٌ طاهرة.. ووجه حسنٌ.. أنفاس زكية.. وثنايا

كالبرد.. أوغلَ الحزنُ في صدره..، وذاب الهمُّ في وجدانه.. اضطربت أحاسيسهُ.. وضجت بين الأضلاع آلامه.. ظنَّ جهلاً منه أن الدخينة [السيجارة] هي الملاذُ والملجأ من هذه الهموم، والمهربُ من هذه الغموم.. وأنها طريق السعادة فتناولها.. **وبدأ طريق الانحراف**..، **نعم.. طريق الانحراف**.. مرت الأيام..، وزادت الآثام..، وذات يوم..، وبعد تعب ونصب مع هذا الخبيث ـ أعني الدخان ـ ومعاناة، وآلام.. وإحراجات في المجتمع، وعقبات في طريق حياته.. التهبت الأضلعُ بنار الندم والحرقة على التفريط.. فكوت الكبد حَرّها.. **فَعَلمَ ذلك الشابُ أن المخرج من هذا هو طاعة الله**..، وأنهُ لا يجوز له صرف شيء من الالتجاء والهرب لسواه سبحانه.. ألمت به حسراتُهُ، وهجست به ذكرياتهُ، تذكر وروده على ربه جل وعز، والحساب والميزان..

وذات يوم انزلقت دمعة كبرى، وعبرة حرَّى من عينين واسعتين.. ترمقُ أفقاً قريباً.. أفقاً جميلاً.. نعم.. إنه أفق رحمة الله.. تذكر ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

تذكر قول الأول:

ويجمعُ الخلق ليوم الفصل
جميعهم علويهم والسفلي
في موقف يجلُّ فيه الخطبُ
ويعظمُ الهول به والكربُ
وأحضروا للعرض والحساب
وانقطعت علائق الأنساب
وعنت الوجوهُ للقيوم
واقتُصَّ من ذي الظلم للمظلوم

والـوزنُ بـالقسـط فـلا ظلـم ولا
يـؤخـذُ عبـدٌ بسـوى مـا عمـلا
فبيـن نـاجٍ راجـحٌ ميـزانـهُ
ومقـرف أوبقـهُ عـدوانـه

إنه أفق التوبة.. فجمع بين صدق العودة إلى الله، وبين العزيمة على ترك الذنب.. فأقدمَ حازماً يريدُ ما عندَ الله.. فأحبهُ الله لتوبته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، فمحيَ ذنبهُ بإذن ربه، وأبدل صالحاً.. قال ﷺ كما عند ابن ماجه والطبراني: «التائبُ من الذنب كمن لا ذنب له».

وبعد هذا.. أخي.. إنما الأيامُ طُرق الجدِّ، والساعاتُ ركائبُ المجد، وأيامُ العافية أوقاتٌ تستدرك..، وأحيانُ السلامة تنادي: «من جَدَّ أدرك».. فكن رجلاً بكل ما تحملهُ هذه الكلمة من معنى.

إذاً أخي: كيف تكون سعيداً؟!

يا شاباً يبحث عن السعادة، إليك طريق السعادة:

١ ـ **الإيمان الصادق بالله** وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

٢ ـ **العمل الصالح**، ويشترط فيه الإخلاص والمتابعة لسنة المختار ﷺ والقيام بأركان الإسلام.

١ ـ **التواصي بالحق** الذي شرعه الله وأمر به.

٤ ـ **تقوى الله** قبل كل شيء.

٥ ـ **التواصي بالصبر** على طاعة الله، والصبر على اجتناب معاصيه، والصبر على أقداره.

٦ ـ **التوبة النصوح** إلى الله تبارك وتعالى.

٧ ـ **طاعة أولي الأمر** وهم العلماء والأمراء في غير معصية الله.

٨ ـ **معاملة الناس** بما تحب أن يعاملوك به.

٩ ـ **الشكر عند النعم**، والصبر عند المصائب.

١٠ ـ **إفشاء السلام** وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

١١ ـ **القناعة** برزق الله.

١٢ ـ **الاقتصاد** في النفقات.

١٣ ـ **الجهاد** في سبيل الله بكل ما يمكن، باليد والمال واللسان.

١٤ ـ **الهجرة** من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهجر ما نهى الله عنه ورسوله.

١٥ ـ **الاستمرار على ذلك** والثبات والاستقامة عليه حتى الموت ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

فكم فتى بالتقى حلى شبيبته
قد عاهد الله صدقاً مد يمناه

حي الشباب مع التقوى إذا اجتمعت
ذاك الجمال وربي حل مرآه

يا فتية الجيل هبوا من سباتكم
من جد في السير يلقي ما تمناه

كم يستغيث بنا الإسلام ننصره
فلم نجب وكأنا ما سمعناه

وصلى الله وسلم وبارك على محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

أخوك/ محمد بن سرّار اليامي

ص.ب: ١٢٢٥٨٦ - الرياض: ١١٧٣١